

تعليم الأبناء : عندما يكون أقل فهو أكثر

Maged Hussein Abdulrazzak.Pediatra Atencion Primaria .C.S.Talayuela .Traductor

عندما نفكر في مرحلة الطفولة ، يتبادر إلى عقولنا أبناء مجتمعنا الثري ، ولكن نظراً لهذا العالم الواسع الذي نعيش فيه ، نرى بشكل متزايد في وسائل الاعلام صوراً لأطفال من الدول الآسيوية ، والدول الفقيرة القادمة لنا الى أوروبا وايضاً من البلدان الأكثر بؤسا في أفريقيا..

نحن نعتقد أننا نعرف كل الاختلافات والمميزات الموجودة بين الأطفال من الدول الغنية والفقيرة. نحن نعلم أن كل بضع ثوان يموت طفل في العالم الثالث بسبب الفقر والحرب.

كثيرون يولدون أو عندهم امراض أو معاقين وايتام أو مكفوفين وخرسان في مناطق يمكن أن يكون هذا أسوأ من الموت. توجد نسبة كبيرة لا تقدر ان تتعلم القراءة والكتابة ، والمرأة هناك عقبة كبيرة موضعها بين القوة والضعف...

ولكنه ليس من العدل أن نتحدث دائما عن هؤلاء الأطفال بنوع من التشاؤم ومن هذه الصفحات ، وبدون الوقوع في أبيض وأسود نريد إعطاء رأي آخر عن هذه الطفولة ، وتذكر أن لديهم العديد من القيم نحسداهم عليها ، وربما تقليدها.

هذه المجتمعات تركز بوجه عام على عائلة قوية وواسعة ، من اب واحد أم لا ، وكجوهر في هذه العائلة هو حب الأطفال . عندما يصاب الأم أو الأب بمرض أو احدهم غائبا ، فإن بقية أفراد الأسرة تعتني بالاطفال الصغار كي يتجنبوا الشعور بالوحدة أو المعاناة من الحرمان العاطفي.

بالإضافة إلى ذلك ، الأطفال يحترمون كبار السن بتكريم واجلال لأنهم يعرفون بأن في خبرتهم توجد الحكمة. يفتقرون إلى الموارد المالية والاقتصادية ، لذلك عندهم تطوير للخيال للألعاب والمسرح والتمثيل الصامت ، والرسوم ، والقصص ، ويقدرون الكائنات والتفاصيل الصغيرة المادية بشكل غير متناهي . من ناحية أخرى ، لا يترددون في المشاركة ، ربما بسبب امتلاك القليل ، يساهموا بأسلوب اسهل أو ربما يقدرون تلقي شيئا ما عندما يكون لديهم قليلاً من الشيء.

هم يعيشون الحياة بشكل طبيعي حتى في المحنة والنكبة ، يتم قبولها كما تأتي من دون لوم أو الشعور بالذنب. فهم ساذجون ، ليست لديهم تقلبات نفسية وتحولات في مواجهة الامور .

والآباء ، بما ان أطفالهم لن يقدروا على عزف الغيتار ، وتعلم الرسم والذهاب الى درس الكاراتيه أو اللغة الصينية او التقوية خارج المدرسة . امام هذا الوضع الاباء لن يبرزوا اي نوع من الجهد النفسي وسوف يتمتعوا بصفاء ، ويتلذذو بالساعات القادمة والتي تتحول بالنسبة لنا ، في بعض الأحيان وضعاً للتعذيب. ولكن الأهم من ذلك أن الأطفال يبتسمون ويضحكون بصوت عال جدا وبسهولة. هم لم يدركوا حتى الآن هذه المحنة ، ويبدو انهم سعداء . كما قلنا ، هو أننا كأطباء اطفال لا نعتقد بأن الآباء والأمهات في هذه المجتمعات هم الأفضل . لا على الإطلاق. الانسان يتشابه في كل مكان ، لا أفضل ولا أسوأ ، ولكن يتكيف حسب ظروف المواجهة في هذه الحياة . ما نراه في مجتمعنا هو أننا تقدمنا ماديا بسرعة كبيرة جدا ، مع الآثار السلبية لأطفالنا ، وربما ينبغي لنا التوقف والتقاط بعض هذه الأفكار التربوية التي كانت سائدة حتى وقت قريب في بلادنا ، ومعقلا لتعليم ونشر القيم.

فإنه لا يبدو عاديًا أن أطفالنا على عمر من ثلاث سنوات في عيد الميلاد تصلهم هدايا بابا نويل وملوك السحر من قبل الأعمام والأجداد والآباء. أو في سن مبكر يرتدون قميصاً أو بنطلوناً بماركة أي العلامة التجارية ، ويذهبون الى السينما في نهاية كل أسبوع ، بما في ذلك (البشار) ، أو تغيير الهاتف كل سنتين .

ولا هو أن في تربية الطفل نجد أنها تشكل عبئاً حيث لا نقدر التمتع لأنه ، بدلا من استخدام الفطرة والحس السليم ، فنحن نريد إلقاء المسؤولية على الآخرين، واستلام تعليمات على كل حركة ، إلقاء اللوم على الآخرين إذا لا شيء يسير كما هو متوقع ، وانجاب أطفالا يتمتعون بالكمال ، أي الصفات والخصائص المثالية التي يجب أن يملكها أي طفل.

سيكون من المثير للاهتمام أن ننسخ بعض جوانب هذه القيم من هذه البلدان: القبول بشكل طبيعي النقصان أو الاختلافات في أي من أطفالنا ، وتعزيز الاستقرار والتوازن العاطفي فوق المستوى الأكاديمي . تنمية وتطوير قدراتهم الإبداعية والروحانية ، وبطبيعة الحال ، نفرح معهم ، ونضحك ايضاً . الاهتمام بهم حتى لو عندنا امور اخرى لفعالها وكذلك تقاسم الوقت ، والتمتع في الامور الغير المادية.

بالتأكيد ، وعندما يكبرون سوف يتذكرون المشي والركض والالعاب معهم مثل ! بارشيس! اكثر من الماكينات اخر جيل أو درس عزف على البيانو الذي أصر والده على أن يحضر ، بغض النظر عن مهاراتهم وفضلياتهم .